بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم، وانقسـامه إلى علم نافع وعلم غير نافع. والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف.

فنقول وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله:

قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح، وهو العلم النافع، وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع.

فأما الأول فمثل قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي

الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** [آل عمران: ١٨]، وقوله: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** [طه: ١١٤]، وقوله: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** [فاطر: ٢٨]، وما قص الله سبحانه من قصة آدم وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم: **﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾** [البقرة: ٣٢]، وما قص الله سبحانه من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر: **﴿هل أتبعك على أن تُعَلّمِنِ مما علمت رشداً﴾** [الكهف: ٦٦]، فهذا هو العلم النافع.

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم. فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به، قال تعالى: **﴿مثل الذين حملوا التوراة**

ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ [الجمعة: ٥]، وقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩]، وقال: ﴿وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣]، وعلى تأويل من تأول الآية على علم عند من أضله الله.

وأما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له فقوله في السحر: ﴿ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿فلما

جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ [غافر: ٨٣]، وقوله تعالى: **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾** [الروم: ٧].

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع[(١)] وغير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع.

ففي «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا**

---

(١) في (ض) والمطبوعة: «وإلى».

تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»[1].

وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ وفي بعضها: «ومن دعاء لا يسمع»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٧١) ومسلم (٤/٢٠٨٨) والنسائي (٨/٢٦٠).

(٢) ورد هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة:

١ ـ من حديث أنس وله عنه طريقان:

الأول: أخرجه أبو داود الطيالسي (١٢٨٢ ـ منحة) وأحمد (٣/١٩٢، ٢٥٥) وأبو يعلى في مسنده (ق ١٤١/٢) وابن حبان (٢٤٤٠) «موارد» وعبد الله بن عبد العزيز البغوي في زوائده على العلم لأبي خيثمة (١٦٥) وابن عبد البر في الجامع (١/١٦١) وإسناده صحيح.

الثاني: أخرجه ابن حبان (٢٤٤١) وإسناده جيد.

٢ ـ من حديث عبد الله بن عمرو: أخرجه أحمد (٢/١٦٧) والنسائي ٨/٢٥٤) والحاكم (١/٥٣٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٦٢، ٥/٩٣) وإسناده صحيح.

٣ ـ من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٢/٣٤٠، ٣٦٥، ٤٥١) =

وفي بعضها: «**أعوذ بك من هؤلاء الأربع**»[1].

وخرَّج النسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ

= وأبـو داود (١٥٤٨) والنسـائي (٨/٢٦٣، ٢٨٤) وابن ماجـه (٣٨٣٧) والآجـري في أخـلاق العلماء/ ص ١٢٣ والحـاكم (١/١٠٤، ٥٣٤) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الأسماء والصفات/ص ٤٤ والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/٨٨) وابن عبد الـبر في الجامع (١/١٦١،١٦٢) وإسناده ضعيف فيه عباد بن سعيد مقبول كما في التقريب (يعني إذا توبع) وإلا فلين كما نبه عليه الحافظ في مقدمة تقريبه)، و له طريق أخرى أخرجها النسائي: ٨/٢٨٤، وابن ماجـه ٢٥٠، وأبويعلى ٢/٢٩٦ والحـاكم ١/١٠٤، وقال النسائي: «سعيد ـ يعني المقبري ـ لم يسمعه من أبي هريرة بل سمعه من أخيه عن أبي هريرة» أ. هـ.

وقد مر الكلام في عباد بن سعيد آنفاً وهو أخو سعيد المقبري.

(١) ورد هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة أيضاً:
١ ـ من حديث عبد الله بن عمـرو أخرجه الترمذي (٣٤٨٢) وصححـه وإسنـاده جيد، وقـد أجحف الحـافظ حينما قال: في التقـريب في أحـد رواة هذا الحـديث: «مقبـول» وهو زهير بن =

كان يقول: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علم لا ينفع»[1]. وخرجه ابن ماجه ولفظه

الأقمر، فقد وثقه النسائي وابن حبان كما في التهذيب (١٢/٢١١) والعجلي كما في ترتيب ثقاته للسبكي (ق ١١١/أ).

وله طريق أخرى أخرجها أحمد (٢/١٦٧، ١٩٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٦٢) وإسنادها ضعيف فيها من لم يسم.

٢ ـ من حديث عبد الله بن أوفى أخرجه أحمد (٤/٣٨١) من حديث طويل وإسناده صحيح.

٣ ـ من حديث أنس أخرجه أحمد (٣/٢٨٣) والنسائي (٨/٢٦٣)، ٢٦٤) والحاكم (١/١٠٤) والبيهقي في الشعب (١/ق٣١١/ب) وإسناده حسن.

وله طريق أخرى أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٠/٤٣٩) والبغوي في شرح السنة (٥/١٥٩) وإسناده ضعيف جداً فيها أبان ابن أبي عياش متروك.

(١) عزا المصنف ـ رحمه الله ـ هذا الحديث للنسائي وقد بحثت عنه أكثر من مرة في تحفة الأشراف فلم أجده، والحديث أخرجه ابن حبان (٢٤٢٦) والطبراني في الأوسط كما في المجمع (١٠/١٨٢) والآجري في الأخلاق /ص ١٢٣، ١٢٤. وإسناده حسن كما قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٨٢).

أن النبي ﷺ قال: «**سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع**»[1].

وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني، ما ينفعني، وزدني علماً**»[2].

وخرج النسائي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يدعو: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٣) وأبو يعلى (١٠٨، ١١٦/١) وأبو بكر الشافعي في فوائده (٨٣/أ) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ق٣١٢/أ) وابن عبد البر في الجامع (١٦٢/١) وإسناده حسن وحسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣١/١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩) وحسنه، وابن ماجه (٢٥١) و (٣٨٣٣) وإسناده ضعيف، فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف ومحمد بن ثابت مجهول كما في التقريب.

ينفعني، وارزقني علماً تنفعني به»[1].

وخرج أبو نعيم من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقـول: **«اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً، فرب إيمان غير دائم، وأسألك علماً نافعاً فرب علم غير نافع»[2].**

وخرج أبو داود من حديث بريدة عن النبي ﷺ قال: **«إن من البيـان سحراً[3]، وإن من العلم جهلاً»[4].** وإن صعصعة بن صوحان فسر قوله:

---

(١) بحثت عنه في تحفة الأشراف فلم أجده والله تعالى أعلم.

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) وفي المطبوعة «لسحراً» وهو خطأ.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠١٢) وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ١٨٠، ١٨١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ١٥٤/أ) وإسناده ضعيف فيه أبو جعفر النحوي عبد الله بن ثابت مجهول =

«**إن من العلم جهلاً**» أن يتكلف العالم إلى علمه ما لم يعلم فيجهله ذلك.

ويفسر أيضاً: بأن العلم الذي يضر ولا ينفع

= وصخر بن عبد الله مقبول كما في التقريب وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/٣١): «وفي إسناده من يجهل» ولشطره الأول شاهد من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «**إن من البيان لسحراً**» أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٨٦) وأحمد (٢/١٦، ٥٩، ٦٢) والبخاري(٩/٢٠١، ١٠/٢٣٧ ـ فتح) وأبو داود (٥٠٠٧) والترمذي (٢٠٢٨).

(فائدة): قال ابن التين ـ أحد شراح صحيح البخاري ـ: «البيان نوعان:

الأول: ما يبين به المراد، الثاني: تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين، والثاني هو الذي يشبه بالسحر والمذموم منه ما يقصد به الباطل، وشبهه بالسحر لأن السحر صرف الشيء عن حقيقته»أ. هـ من فتح الباري (٩/٢٠٢)، وانظر لشرح هذا الحديث أيضاً غير مأمور التمهيد لابن عبد البر (٥/١٧٠ ـ ١٨١).

جهل لأن الجهل[1] به خير من العلم به. فإذا كان الجهـل به خيراً منـه فهـو شر من الجهـل، وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين أو في الدنيا.

وقد روي عن النبي ﷺ تفسير بعض العلوم التي لا تنفع.

ففـي «مـراسيل أبي داود» عن زيد بن أسلم قال: قيل يا رسول الله ما أعلم فلاناً! قال: «بم؟» قالوا بأنساب الناس، قال: **«علم لاينفع وجهالة لا تضر»**[2].

---

(١) سقطت من المطبوعة.

(٢) أخـرجـه أبـو داود في المراسيل كما في تحفـة الأشراف للمـزي (١٣/ ١٩٧) والسمعاني في الأنساب (١/ ٩، ١٠)، والمرسل من أقســام الحـديث الضعيف كما هو مقـرر في موضعـه من كتب مصطلح الحديث.

وخرجه أبو نعيم في كتاب «رياضة المتعلمين» من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً.

وفيه أنهم قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر، وبما اختلفت فيه العرب وزاد في آخره: **«العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»**[1].

وهذا الإسناد لا يصح، وبقية دلسه عن غير ثقة.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/٢٣) وإسناده ضعيف كما قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ فإن بقية بن الوليد وابن جريج معروفان بالتدليس ولم يصرحا بالتحديث.

وآخـر الحديث خرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبـد الله بن عمـرو بن العاص مرفوعاً: **«العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة»**(١) وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وفيه ضعف مشهور.

وقد ورد الأمر بأن يتعلم من الأنساب ما توصل به الأرحـام من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«تـعـلمـوا من أنسـابـكـم ماتصلون به**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٨٥) وابن ماجه (٥٤) والدارقطني (٤/ ٦٧-٦٨) وابن عبد الحكم في فتوح مصر/ ص ٢٥٥، ٢٥٦ والحاكم (٤/ ٣٣٢) والـبيهـقي (٦/ ٢٠٨) والبغـوي في شرح السنـة (١/ ٢٩١) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٢٣) وإسناده ضعيف، فإن فيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف في حفظه وكذلك فيه عبد الرحمن بن رافع ضعيف أيضاً كما في التقريب، والحديث ضعفه الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك ٤/ ٣٣٢).

أرحامكم» خرجه الإمام أحمد والترمذي[1].

وخرجه حميد بن زنجويه من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم

---

(١) أخرجه أحمد ٢ / ٣٧٤) والترمذي ١٩٧٩) واستغربه، والحاكم (٤ / ١٦١) وصححه، والبغوي في شرح السنة (١٣ / ١٩) والسمعاني في الأنساب (١ / ٥، ٦) وإسناده حسن.
ولحديث أبي هريرة طريق أخرى أخرجها الحاكم في معرفة علوم الحديث ص١٦٩ والسمعاني في الأنساب (١ / ٧) نحو الشطر الأول من الحديث، وإسناده ضعيف فإن فيها أبا الأسباط بشر بن رافع وهو ضعيف الحديث، وللحديث شاهد من حديث العلاء ابن خارجة أخرجه الطبراني في الكبير (١٨ / ٩٨) وقال المنذري في الترغيب (٣ / ٥٥٠) «بإسناد لا بأس به» أ.هـ. وقال الهيثمي في المجمع (٨ / ١٥٢): «ورجاله قد وثقوا».

انتهـوا»[1] وفي إسناد رواته[2] ابن لهيعة، وخرج أيضاً من رواية نعيم بن أبي هند قال: قال عمر: تعلموا من النجوم ماتهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكـوا، وتعلمـوا من النسبـة ما تصلون به أرحامكم، وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا[3].

وروى مسعر عن محمد بن عبيد الله قال: قال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق.

---

(١) أخـرجـه البيهقي في الشعب (١/ق٣٠٤/أ) وإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة.

(٢) وفي (ض): «روايته».

(٣) أخـرجه بهذا الفظ ابن أبي شيبة وابن المنذر والخطيب في كتاب النجوم كما في الدر المنثور (٣/٣٤) والسمعاني في الأنساب (١/١١).

وكان النخعي لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به[1].

ورخص في تعليم منازل القمر أحمد وإسحاق، نقله عنهما حرب زاد إسحاق: ويتعلم من أسماء النجوم مايهتدي به.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

وقال طاووس: رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق. خرجه حرب، وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاووس عن ابن عباس[2].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢ / ٣٩)، وإسناده جيد.

(٢) أثر ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١ / ٢٦) =

وهـذا محمـول على علم [التـأثـير][1] لا علم التسيير فإن علم التــأثـير باطـل محرم، وفيه ورد الحـديث المرفوع: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**» خرجه أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعاً[2].

وخرج أيضاً من حديث قبيصة مرفوعاً «**العيافة**

= والبيهقي في السنن (٨/١٣٩) وفي الشعب (٢/٢٠٣/أ) وابن عبد البر في الجامع (٢/٣٩) وإسناده صحيح.

(١) وفي (ش) و(ف): «التأثيرات» والمثبت من (ض) والمطبوعة.

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٢٧١، ٣١١) وأبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) والطبراني في الكبير (١١/١٣٥، ١٣٦) والبيهقي في السنن (٨/١٣٨) وفي الشعب (٢/ق ٢٠٣/أ) وابن عبد البر في الجامـع (٢/٣٩) وإسنـاده صحيح، وصححـه النـووي في الفتاوى/ ص ١٦٥ والذهبي كما في الفيض (٦/٨٠) والحافظ العـراقي في تخريج الإحياء (٤/١١٧)، ووقع في نسخ الكتاب سوى (ع): «ومن اقتبس» ولا وجود لحرف الواو عند الكتب التي أخرجت الحديث.

والطيرة والطرق من الجبت»[1]. والعيافة زجر الطير، والطرق الخط في الأرض.

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٢/ ٤٤، ٤٥) وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٠٣) وأحمد (٣/ ٤٧٧، ٥/ ٦٠) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٥) وأبو داود (٣٩٠٧) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٨/ ٢٧٥) وابن حبان (١٤٢٦) والطحاوي في شرح المعاني (٤/ ٣١٢، ٣١٣) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦٩) والبيهقي (٨/ ١٣٩) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٥٨) والخطيب (١٠/ ٤٢٥) والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٧٧) وفي تفسيره (١/ ٥٤٥، ٥٤٦ ـ هامش الخازن) وإسناده ضعيف، فيه حيان ابن العلاء لم يوثقه سوى ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل، على أن في اسم حيان شيئاً من الاضطراب مما يدل على ضعف الحديث كما هو مبين في تهذيب الكمال (١/ ٣٤٦).

العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، والطرق: الضرب بالحصى، الذي يفعله النساء، النهاية (٣/ ١٢١، ٣٣٠).

فعلم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم ، وتقريب القرابين لها كفر.

وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور.

وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه، وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم. كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار، وهو باطل. وقد أنكر الإمام أحمد الاستدلال بالجدي، وقال: إنما ورد ما بين المشرق والمغرب قبله. يعني لم يرد اعتبار

الجدي ونحوه من النجوم وقد أنكر ابن مسعود على كعب قولـه: إن الفلك تدور. وأنكر ذلك مالك وغيره، وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم إن الزوال يختلف في البلدان.

وقد يكون إنكارهم أو انكار بعضهم لذلك لأن الرسل لم تتكلم في هذا وإن كان أهله يقطعون به، وأن[1] الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض.

وقـد اعـترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النـزول ثلث الليل الآخر[2] وقال: ثلث

---

(١) في المطبوعة: «وإن كان».

(٢) يشير المصنف ـ رحمه الله ـ إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ينزل ربنا تبارك وتعالى، كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعـوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفـر له؟» أخـرجـه مالـك في المـوطـأ (١/ ٢١٤)، واللفظ له =

الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين.

ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض، وأن الرسول ﷺ وخلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه، بل بادروا إلى عقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين. كذلك التوسع في علم الأنساب هو مما لا يحتاج إليه، وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه. مع أن طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به[1].

= والبخاري ٣/٢٩، ١١/٢٨، ١٢٩، ١٣/٤٦٤) ومسلم (١/٥٢١)، ويحسن بك أيها القارىء الكريم أن تراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، في كتابه «شرح حديث النزول» ط المكتب الإسلامي.

(١) قلت: ومن هذه الطائفة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقد =

وكـذلك التوسع في علم العربية لغة ونحواً وهو مما يشغل عن العلم الأهم، والوقوف معه يحرم علماً نافعـاً. وقـد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو، وقال: أوله شغل وآخره بغي، وأراد به التوسع فيه ولـذلك كره أحمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها وأنكـر على أبي عبيد توسعـه في ذلـك وقال: هو يشغل عما هو أهم منه.

ولهـذا يقال: إن العربية في الكلام كالملح في الطعام. يعني أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام، كما يؤخذ من الملح مايصلح الطعام. وما زاد على ذلك فإنه يفسده. وكذلك علم الحساب يحتاج منه إلى

= شهـد له بذلك النبي ﷺ، فقد أخرج مسلم (١٩٣٥/٤) عن عائشة من حديث طويل أن النبي ﷺ قال لحسان: **«لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها»** الحديث.

ما يعرف به حساب [مايقع][1] من قسمة الفرائض والـوصـايا والأموال التي تقسم بين المستحقين لها والزائد على ذلك مما لا ينتفع به إلا في مجرد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه ويشغل عما هو أهم منه .

وأمـا ما أُحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوماً، وظنوا أن من لم يكن عالمـاً بها فهو جاهل أو ضال فكلها بدعة . وهي من محدثات الأمور المنهي عنها، فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال لله، وقـد ورد النهي عن الخوض في القدر، وفي صحيحي ابن حبـان والحـاكم عن ابن عبـاس

(١) ما بين المعكوفين من المطبوعة، والذي في (ش) و(ف): «ما ينتفع».

مرفوعاً «لا يزال أمر هذه الأمة موافياً ومقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر»[1].

وقد روي موقوفاً ورجح بعضهم وقفه. وخرج البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: **«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا»** وقد روي من وجوه متعددة في أسانيدها مقال[2].

---

(١) أخرجه البزار كما في المجمع (٧/٢٠٢) والطبراني في الكبير (١٢/١٦٢) وابن حبان (١٨٢٤) والحاكم (١/٣٣) وابن عبد البر في الجامع (٢/٩٣) وصححه ووافقه الذهبي، وإسناده جيد، وقال الهيثمي: «ورجال البزار رجال الصحيح» أ. هـ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٤٣، ٢٤٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨) وقال: «غريب» قلت: وسنده ضعيف فيه مسهر بن عبد الملك لين الحديث كما في التقريب، لكن له شاهد من مرسل طاووس أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في أماليه (٢/ ق٣٩/ب) وإسناده صحيح، فيتقوى به الحديث إن شاء الله.

وروي عن ابن عباس أنه قال لميمون بن مهران: إياك والنظر في النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة، وإياك والقدر فإنه يدعو إلى الزندقة، وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبك الله في النار على وجهك وخرجه أبو نعيم مرفوعاً ولا يصح رفعه[1].

والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه:

منها: ضرب كتاب الله بعضه ببعض فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى ويقع التجادل في ذلك. وهذا قد روي أنه وقع في عهد النبي ﷺ، وأن النبي

---

(١) أخرجه السهمي في تاريخ جرجان/ص ٤٢٩ بنحوه من طريق أحمد بن محمد بن كريب قال حدثني أبي عن جدي قال سمعت ابن عباس وذكره مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، أحمد بن محمد قال الحافظ في اللسان (١/٢٩٨): «لا أعرفه» وذكر أن هذا الخبر منكر وأبوه محمد بن كريب ضعيف كما في التقريب.

ﷺ غضب من ذلـك ونهى عنه[1]. وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه وقد نهى عن ذلك[2].

---

(١) يشير المصنف ـ رحمه الله ـ إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٣) عن عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو قال هجرت إلى رسول ﷺ يوما قال فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال «**إنما أهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**».

(٢) يشير المصنف، إلى حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال «المراء في القرآن كفر» أخرجه أحمد (٢/٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨) وأبو داود (٤٦٠٣) والآجري في الشريعة / ص ٦٧) والحاكم (٢/٢٢٣) والبيهقي في الشعب (١/ق٣٧٢/ب) وأبو نعيم في الحلية (٨/٢١٣) وفي أخبار أصبهان (٢/١٢٣) وإسناده حسن، وله طرق أخرى نذكرها في هذه العجالة:

١ ـ أخرجه أحمد (٢/٢٥٨) والآجري في الشريعة /ص ٦٧ والخطيب (٤/٨١) من طريق سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وإسناده صحيح.

٢ ـ من طريق أبي حازم عن أبي سلمة عنه أخرجه أحمد (٢/٣٠٠) =

ومنها: الخوض في القدر إثباتاً ونفياً بالأقيسة العقلية، كقول القدرية: لو قدر وقضي ثم عذب كان ظالماً، وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم ونحو ذلك.

= والنسائي في فضائل القرآن رقم (١١٨) والطبري في تفسيره (١/٩) وابن حبان (١٧٨٠) وإسناده صحيح.

٣ ـ من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة: أخرجه أحمد (٢/٤٧٨، ٤٩٤) والحاكم (٢/١٢٣) والبيهقي في الشعب (١/ق ٣٧٢/ب) وإسناده لا بأس به في المتابعات والشواهد.

٤ ـ من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة، أخرجه الطبراني في الصغير (١/٢٠٧، ٢٠٨) والخطيب (١١/١٣٦) وإسناده ضعيف فيه محمد بن حمير لا يعرف كما في الميزان (٣/٥٣٢).

٥ ـ من طريق سعيد بن المسيب وأبي سلمة عنه، أخرجه الطبراني في الصغير (١/١٧٨) والعقيلي في الضعفاء (ق ١٦٥/أ) وأبو نعيم في الحلية (٥/١٩٢) وإسناده ضعيف فيه عنبسة الحداد قال أبو حاتم: «منكر الحديث» انظر لسان الميزان (٤/٣٨٤).

ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه، عن علي وغيره من السلف. فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك.

ومن ذلك أعني محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة، ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى، وصفاته بأدلة العقول وهو أشد خطراً من الكلام في القدر، لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته.

وانقسم هؤلاء إلى قسمين:

أحدهما: من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين، كقول المعتزلة: لو رؤي لكان جسماً لأنه لا يرى إلا في جهة.

وقـولهم: لو كان له كلام يسمـع لكـان جسماً. ووافقهم من نفي الاستواء، فنفوه لهذه الشبهة، وهذا طريق المعتزلة والجهمية.

وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم. وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن انتسب إلى السنة والحديث من المتأخرين.

والثاني: من رام إثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر، ورد على أولئك مقالتهم كما هي طريقة مقـاتـل بن سليمان ومن تابعه كنوح بن أبي مريم، وتابعهم طائفة من المحدثين قديماً وحديثاً وهو أيضاً مسلك الكـرامية[1] فمنهم من أثبت لإثبـات هذه

---

(١) نسبة إلى محمد بن كرام. انظر لمعرفة حالهم: الفرق بين الفرق / ص ٢١٥، والملل والنحل (١ / ١١٤) للشهرستاني.

الصفـات الجسم، إما لفظاً وإما معنى. ومنهم من أثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة.

وقـد أنكر السلف على مقاتل قوله: في رده على جهم بأدلة العقل وبالغوا في الطعن عليه، ومنهم من استحل قتله. منهم مكي بن إبراهيم شيخ البخاري وغيره.

والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل[1]، ولا يصح عن أحد منهم خلاف

---

(١) لا شك أن هذا هو المذهب الحق في صفات الله تبارك وتعالى نؤمن بها، ونمـرها على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله** =

ذلـك ألبتـة، خصوصاً الإمام أحمد، ولا خوضاً في معانيها ولا ضرب مثل من الأمثال لها.

وإن كان بعض من كان قريبـاً من زمن أحمد فيهم من فعل شيئاً من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل، فلا يقتدى به في ذلك، إنما الإقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم.

وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمـين فضـلاً عن كلام الفلاسفة، ولم يدخل ذلك من كلامه من سلم من قدح وجرح. وقد قال أبو زرعة الرازي: كل من كان عنده علم

= شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] فإن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسـه من كل أحد، وأعلم الناس به رسوله ﷺ، وهذه عقيدة سلف الأمة رضوان الله تعالى عليهم.

فلم يصن علمه واحتاج في نشره إلى شيء من الكلام فلستم منه.

ومن ذلك ـ أعني محدثات العلوم ـ ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها.

وسواء خالفت السنن أم وافقتها طرداً لتلك القواعد المقررة، وإن كان أصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها. وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام على من أنكروه من فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه وإنكاره.

فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان إذا كان معمولاً به

عنـد الصحابة ومن بعدهم أو عند طائفة منهم . فأما ما اتفق السلف على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لايعمل به .

قال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم فأما ما خالف عمل أهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الأخذ بعمل أهل المدينة .

والأكثرون أخذوا بالحديث .

ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام ،وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهـاء العراقَيْن في مسـائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفـوا كتب الخـلاف ووسعـوا البحث

والجدال فيها. وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم، حتى شغلهم عن العلم النافع. وقد أنكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن «**ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾**»[1][الزخرف: ٥٨].

وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢، ٢٥٦) والترمذي (٣٢٥٣) وصححه وابن ماجه (٤٨) وابن جرير (٢٥/ ٥٣) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٠١) والطبراني في الكبير ٨/ ٣٣٣) والآجري في الشريعة / ص ٥٤ والحاكم (٢/ ٤٤٧، ٤٤٨) والسهمي في تاريخ جرجان / ص ٧٤ والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٠، ٢٣١) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧) والبغوي في تفسيره (٦/ ١٣٨، ١٣٩) من حديث أبي أمامه وإسناده حسن.

بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل[1].

وقال مالك: أدركت [أهل] هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم[2]، يريد المسائل.

وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول: يتكلم أحدهم كأنه جمل مغتلم، يقول: هو كذا هو كذا، يهدر في كلامه. وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول: قال الله عز وجل: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**﴾ [الإسراء: ٨٥] فلم يأته في

---

(١) هو من قول معروف الكرخي أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٦١) والخطيب في اقتضاء العلم ص/ ٨٠.

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٩) وما بين المعكوفين منه ومن (ض) والمطبوعة.

ذلك جواب وقيل له: الرجل يكون عالماً بالسنن يجادل عنها؟ قال لا ولكن يخبر بالسنة، فإن قبل منه وإلا سكت. وقال: المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم.

وقال: المراء في العلم يقسي القلب ويورث [الضغن][1]، وكان يقول في المسائل التي يسأل عنها كثيراً: لا أدري. وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن أغلوطات المسائل، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث وفي ذلك ما يطول ذكره.

---

(١) وفي (ش) و(ف) والمطبوعة «الطعن» والمثبت من (ض).

ومـع هذا ففي كلام السلف والأئمـة كمالـك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه، ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطالة ولا إسهاب.

وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسنة بألطف إشارة وأحسن عبارة، بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم. بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعـدهم من الصـواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه.

فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية لله.

ومـا تكلم من تكلم وتـوسـع من توسع بعدهم

باختصاصه[1] بعلم دونهم، ولكن حباً للكلام وقلة ورع. كما قال الحسن وسمع قوماً يتجادلون: هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول، وقل ورعهم فتكلموا[2].

وقال مهدي بن ميمون: سمعت محمد بن سيرين وما رآه رجل ففطن له، فقال إني أعلم ما يريد، إني لو أردت أن أماريك كنت عالماً بأبواب المراء. وفي رواية قال: أنا أعلم بالمراء منك ولكني لا أماريك[3].

وقال إبراهيم النخعي: ما خاصمت قط. وقال عبدالكريم الجزري: ما خاصم ورع قط[4].

---

(١) وفي (ض) و(ف) «لاختصاصه».

(٢) أخرجه أحمد في الزهد /ص ٢٧٢ وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٦).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة / ص ٦١، ٦٢ بنحوه وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة / ص ٥٨ وإسناده جيد.

وقال جعفر بن محمد: إياكم والخصومات في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق[1].

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: إذا سمعت المراء فاقصر. وقال من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل[2].

وقال: إن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفوا وكانوا هم أقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في هذا المعنى كثير جداً.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٩٨).

(٢) أخرجه الدارمي (١/٩١) والآجري في الشريعة /ص ٥٦، ٥٧.

ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه. وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة والصحابة أعلم منهم. وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم. فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم[1] واختصر له الكلام اختصاراً.

---

(١) أخرج البخاري (١٢/ ٣٩٠) ومسلم (١/ ٣٧١، ٣٧٢) واللفظ له عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب...**» الحديث.

ولهـذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال[1]، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله لم يبعث نبيــاً إلا مبلغـاً، وإن تشقيق الكـلام من الشيطان**»[2] يعني أن النبي إنما يتكلم بما يحصل به البـلاغ، وأمـا كثـرة القـول وتشقيق الكلام فإنه مذموم، وكانت خطب النبي ﷺ قصداً[3]، وكان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[4]، وقال: «إن

---

(١) يشير المصنف ـ رحمه الله ـ إلى ما أخرجه البخاري (٣/ ٣٤٠، ٥/ ٦٨، ١٠/ ٤٠٥، ١١/ ٣٠٦) ومسلم (٣/ ١٣٤٠، ١٣٤١) واللفظ للبخاري عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً: «**إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٦٣، ١٦٤) من مرسل مجاهد وهو ضعيف لا رساله.

(٣) أخرج مسلم (٢/ ٥٩١) عن جابر بن سمرة قال: كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً.

(٤) عن عائشة قالت: إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه. أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٨).

من البيـان سحـراً»[1] وإنما قاله في ذم ذلك، لا مدحاً له كما ظن ذلك من ظنه، ومن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

وفي الـترمـذي وغـيره عن عبـد الله بن عمرو مرفوعاً: **«إن الله ليبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها»**[2]. وفي المغني أحـاديث كثـيرة مرفـوعة وموقوفة على عمر وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهـم من الصحابة.

---

(١) تقدم تخريجه / ص .

(٢) أخـرجـه أحمد (٢/١٦٥، ١٨٧) وأبو داود (٥٠٠٥) والترمذي (٢٨٥٣) واللفظ له وحسنه والحاكم في المعـرفـة / ص ١٠٢ والبيهقي في الشعب (٢/ق ١٨٠/ ب) وفي الأداب (ق ١٨١) وإسناده قابل للتحسين وله شاهد من حديث ابن عمر يتقوى به أخـرجـه الـطبراني في الأوسط كما في المجمـع (٨/١١٦) وقـال الهيثمي: «عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف».

فيجب أن يعتقـد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك.

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسـع في القـول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقـدم من الصحـابة ومن بعدهـم لكثرة بيانه ومقـالـه. ومنهم من يقـول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين. وهذا يلزم منه ما قبله، لأن هؤلاء الفقهـاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قولـه كان أعلم ممن كان أقـل منهم قولاً بطريق الأولى، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم، وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً فإن هؤلاء كلهم أقل كلاماً ممن جاء بعدهم.

وهـذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبتـه لهم إلى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد صدق ابن مسعود في قولـه في الصحابة: إنهم أبر الأمة قلوباً وأعمقها علوماً وأقلها تكلفاً[1] وروي نحوه عن ابن عمر أيضاً.

وفي هذا إشـارة إلى أن من بعدهم أقل علوماً وأكثـر تكلفـاً. وقال ابن مسعود أيضاً: إنكم في زمـان كثـير علماؤه، قليل خطباؤه وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه[2]. فمن كثر علمه

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧) وإسناده ضعيف فيه سنيد ابن داود وهو ضعيف كما في التقريب، وأما أثر ابن عمر فأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) وإسناده ضعيف لضعف عمر بن نبهان وتدليس الحسن البصري.

(٢) أخـرجـه أبـو خيثمة في العلم (١٠٩) وإسناده صحيح، ورواه =

وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه[1]، وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع.

= الطبراني في الكبير (٨٥٦٦) بنحوه وسنده جيد، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩) بلفظ مقارب وإسناده قوي وصححه الحافظ في الفتح (١٠/ ٥١٠).

(١) يشير المصنف، إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة الإيمان يمان، والفقه يمان...**» الحديث أخرجه البخاري (٨/٩٨) ومسلم (١/ ٧١، ٧٢، ٧٣) واللفظ له.

فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم، الذين سميناهم فيما سبق.

فضبط ما روي عنهم في ذلك أفضل العلم[1] مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه، وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه إلا أن يكون شرحاً لكلام يتعلق [بكلامهم][2].

وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل أو لا

---

(١) وفي (ض): «العلوم» وكذا في المطبوعة.

(٢) وفي (ش) و (ض) و(ف) «من كلامهم» وما أثبته من المطبوعة وهو الظاهر والله أعلم.

منفعة فيه، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة. ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله. ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به.

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم، ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلى معرفة صحيحه من سقيمه، وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل. فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عنده من ذلك.

كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي ﷺ ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه، فهو لجهله يجوز أن يكون كله باطلاً لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه.

قال الأوزاعي: العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ فما كان غير ذلك فليس بعلم[1]، وكذا قال الإمام أحمد، وقال في التابعين: أنت مخير يعني مخير في كتابته وتركه.

وقد كان الزهري يكتب ذلك وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم على تركه كلام التابعين[2].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢ / ٢٩).
(٢) أخرجه الخطيب في تقييد العلم / ص ١٠٦، ١٠٧ وابن عبد البر في الجامع (١ / ٧٦، ٧٧).

وفي زمـانـنـا يتعـين كتابه كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنـه حدث بعـدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إلى متـابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن [الأئمة](١) وانفراده عنهم بفهم يفهمه. أو يأخذ ما لم يأخذ به [الأئمة](٢) من قبله.

فأمـا الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم. كما قال أحمد: لا يخلو من نظر في الكلام إلا تجهم. وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا

---

(١) ما بين المعكوفين من (ض) و (ع) والمطبوعة.

(٢) ما بين المعكوفين من (ض) و (ع).

عن السنة. وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام [المحدث][1] واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته إلى الجهل أو إلى الحشو، وإلى أنه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه، فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه.

وممـا أحدث من العلوم، الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم، وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره.

وكان أبو سليمان يقول: إنه لتمر بي النكتة من

---

(١) المثبت من (ض) و (ع) والمطبوعة و في (ش): «المتحدث».

نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة[1].

وقال الجنيد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا[2].

وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق، ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء، أو أنهم مستغنون عنهم، وإلى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع، وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود وغير

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية /ص٧٨.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٥٥) ومن طريقه الخطيب (٧/٢٤٣) وإسناده صحيح.

ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان، كدعوى الإباحة، وحل محظورات الشرائع.

وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم [تأت][1] به الشريعة. وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر المحرم، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط

---

(١) وفي (ش): «يأت».

نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك. والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً. وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل.

ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه، أعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه وألهمه، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله كما قال عز وجل ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[فاطر: ٢٨].

قال ابن مسعود وغيره: كفى بخشية الله علماً،

وكفى بالاغترار بالله جهلاً[1]، وقال بعض السلف: ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية. وقال بعضهم: من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو جاهل، وكلامهم في هذا المعنى كثير جداً.

وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته، ومهابته

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد / ص ١٥ وأحمد في الزهد ص ١٥٨ والطبراني في الكبير (٩/ ٢١١، ٢١٢) وابن بطة في جزء الكلام على مسألة الخلع / ص ٢٥ والبيهقي في المدخل/ ص ٣١٥ وإسناده ضعيف لاختلاط المسعودي وانقطاعه بين القاسم بن عبد الرحمن وابن مسعود فإنه لم يسمع منه.

ومحبته ورجاءه والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه. فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع، فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب لله، فقد خشع القلب وانكسر له وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيماً ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا، وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا. وكل ما هو فان لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص

به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريما على الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف وروي مرفوعاً.

وأوجب ذلك أن تكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة، فإن سأله أعطاه، وإن دعاه أجابه. كما قال في الحديث الإلهي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»، إلى قوله «**فلئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»،[1] وفي رواية: «**ولئن دعاني لأجيبنه**»[2]، وفي وصيته ﷺ لابن عباس: «**احفظ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٤٠، ٣٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) هذه الرواية وردت ضمن حديث لعائشة أخرجها أحمد (٦/ ٢٥٦) وابن أبي الدنيا في الأولياء (٤٥) والبزار كما في المجمع (١٠/ ٢٦٩) وفيها عبد الواحد بن قيس مختلف فيه، قال الحافظ في التقريب: =

الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[1] فالشأن في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريباً منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته، ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته، كما قيل لوهيب بن الورد: أيجد حلاوة الطاعة من عصى؟ قال لا ولا من هم[2].

= «صدوق له أوهام»، وأخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (١٠/ ٢٦٩) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير شيخه هارون بن كامل» فالحديث بهذين الطريقين حسن والله أعلم.

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (١/ ٣٠٧) والبيهقي في الشعب (١/ق ١٩٧/أ) وفي الأسماء والصفات/ ص ٧٥، ٧٦ وإسناده حسن وقد تكلم على إسناد أحمد العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٤/ ٢٨٦) بما لا يدع مجالاً للزيادة عليه، هذا وللحديث طرق أخرى وشواهد تكلمت عليها مسهباً في تحقيقي «لكتاب نور الاقتباس» للمصنف ص ٣١ ـ ٣٤.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٤٤).

ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة. فإذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه كما قالت شعوانة لفضيل: أما بينك وبين ربك ما إذا دعوته أجابك، فغشي عليه. والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا وفي البرزخ وفي الموقف فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله. وهذا هو المشار إليه في وصية ابن عباس بقوله ﷺ: **«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»** (1)

وقيل لمعروف ما الذي هيجك إلى الانقطاع؟ وذكر له الموت والقبر والموقف والجنة والنار، فقال: إن ملكا هذا كله بيده إذا كانت بينك وبينه معرفة كفاك هذا كله.

---

(1) تقدم تخريجه قريباً.

فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووحده وأنس به واستحيا من قربه وعبده كأنه يراه، ولهذا قالت طائفة من الصحابة: إن أول علم يرفع من الناس الخشوع.

وقال ابن مسعود: إن أقواماً يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

وقال الحسن: العلم علمان، فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع[1]، وكان السلف يقولون: العلماء ثلاثة، عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله

---

(١) أخرجه الدارمي (١/١٠٢) من طريق هشام بن حسان، وهشام هذا لم يسمع من الحسن البصري كما في التقريب.

ليس بعالم بأمره، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله[1].

وأكملهم الأول، وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه، فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم على ربه فيعرفه فإذا عرفه ربه فقد وجده منه قريباً، ومتى وجده منه قريباً قربه إليه، وأجاب دعاءه كما في الأثر الإسرائيلي: ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء! وأنا أحب إليك من كل شيء. وكان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل:

---

(١) أخرجه الدارمي (١٠٢/١) والبيهقي في الشعب (١/ق ٣٢٦/أ) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٧) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٤٨) عن سفيان بن عيينه قال كان يقال العلماء ثلاثة.. وإسناده صحيح.

اطلبوا لأنفسكم مثلَ ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكناً ليس في هواه عنا
إن بعدت قربني أو قربت منه دنا

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول عن معروف: معه أصل العلم خشية الله.

فأصل العلم، العلم بالله الذي يوجب خشيته، ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد.

فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعاً، وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع، ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي

ﷺ وصار علمه وبالاً وحجة عليه، فلم ينتفع به لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدنيا،

بل ازداد عليها حرصاً ولها طلباً، ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه، هذا إن كان علمه علماً يمكن الانتفاع به، وهو المتلقى عن الكتاب والسنة. فإن كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضره أكثر من نفعه.

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء، وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها. وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه، وقد ورد عن النبي ﷺ: «**أن من طلب العلم**

لذلك فالنار النار»[1] وربما ادعى بعض أصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم، وإحسان ظنهم بهم، وكثرة أتباعهم والتعظم بذلك على الناس. وعلامة ذلك إظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه أهل الكتاب، وكما ادعاه القرامطة والباطنية[2] ونحوهم

---

(١) يشير المصنف إلى حديث جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال «**ولا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار**» أخرجه ابن ماجه (٢٥٤) وابن حبان (٢٩٠) والآجري في الأخلاق / ص ٨٤، ٨٥ والحاكم (٨٦/١) والبيهقي في الشعب (١/ق ٣١٠/ب) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٨٨/٢) وفي الجامع لأخلاق الراوي (٢٢/١) وابن عبد البر في الجامع (١٨٧/١) وفيه ابن جريج وأبو الزبير وهما مدلسان ولم يصرحا بالتحديث وسيأتي الحديث بمعناه والكلام عليه.

(٢) أفاض ابن الجوزي في ذكر القرامطة في المنتظم (٥/ ١١٠ ـ ١١٩) =

وهـذا بخـلاف ما كان عليه السلف من احتقـار نفوسهم وازدرائها باطناً وظاهراً.

وقال عمرو: من قال أنه عالم فهو جاهل، ومن قال إنه مؤمن فهو كافر، ومن قال هو في الجنة فهو فى النار[1].

ومن علامات ذلك: عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر على من يقول الحق، خصوصاً إن كان دونهم في أعين النـاس، والإصرار على البـاطل

= وكذا ابن الأثير في الكامل (٧/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩)، وانظر لمعرفة حالة البـاطنية: الفـرق بين الفـرق / ص ٢٨١، والملل والنحـل (٢/ ٢٩)، وللغزالي رسالة في فضائح الباطنية بتحقيق عبد الرحمن بدوي.

(١) لا ريب أن هذا من الغيبيات التي عملها عند الله تعالى، وهذا القول إن صحّ عن قائله ـ مردود عليه وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا النبي ﷺ.

خشية تفرق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق. وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فيمدحون بذلك وهو من دقائق أبواب الرياء كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء. ويظهر منهم قبول المدح واستجلابه مما ينافي الصدق والإخلاص، فإن الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه، فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد.

قال الحسن: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المواظب على

عبادة ربه[1] وفي رواية عنه قال: الذي لا يحسد من فوقه، ولا يسخر ممن دونه، ولا يأخذ على علم علمه الله أجراً، وهذا الكلام الأخير قد روي معناه عن ابن عمر من قوله[2] وأهل العلم النافع كلما ازدادوا لله تواضعاً وخشية وانكساراً وذلاً.

قال بعض السلف: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه[3].

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد / ص ٢٦٧ والدارمي (١ / ٨٩) والآجري في الأخلاق / ص٧٤ وابن بطة في جزء الخلع / ص ٢٦ وأبو نعيم في الحلية (٢ / ١٤٧، ٦ / ١٧٨) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه الدارمي (١ / ٨٨) من قول ابن عمر وفيه من لم يسم.

(٣) أخرجه الآجري في الأخلاق / ص ٧١ وابن بطة في جزء الخلع / ص ٣٠ والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ / ١١٣) من قول أيوب وإسناده صحيح.

فإنه كلما ازداد علماً بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلاً وانكساراً.

ومن علامات العلم النافع: أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح، فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع فإن[1] وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته، بحيث أنه يخشى أن يكون مكراً واستدراجاً، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته.

ومن علامات العلم النافع: أن صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به على أحد، ولا ينسب

---

(١) وفي (ض) والمطبوعة: «فإذا».

غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها، فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل، وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأردئها. وربما نسب من كان قبله من العلماء إلى الجهل والغفلة والسهو، فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها، وإحسان ظنه بها وإساءة ظنه بِمَن سلف.

وأهل العلم النافع على ضد هذا. يسيئون الظن بأنفسهم ويحسنون الظن بمن سلف من العلماء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم

والـوصول إليها أو مقاربتها. وما أحسن قول أبي حنيفة وقد سئل عن علقمة والأسود: أيهما أفضل؟ فقـال: والله ما نحن بأهـل أن نذكرهم، فكيف نفضل بينهم.

وكان ابن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

ومن علمه غير نافع إذا رأى لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال وتشقق الكلام، ظن لنفسه عليهم فضلاً في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خص به

عمن سبق فاحتقر من [تقدمه][١]، وازدرى عليه بقلة العلم، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام من سلف إنما كان ورعاً وخشية لله ولو أراد الكلام وإطالته لما عجز عن ذلك. كما قال ابن عباس لقومٍ سمعهم يتمارون في الدين: أما علمتم أن لله عباداً أسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهمو انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم من المفرطين، وإنهم لأكياس أقوياء ومع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأبرار برآء، إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ولا

---

(١) وفي (ش): «يقدمه».

يدلون عليه بالأعمال، هم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون[1] . خرجه أبو نعيم وغيره.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال «**الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**»[2] وحسنه الترمذي وخرجه الحاكم وصححه.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٤٩٥) والآجري في الشريعة /ص٥٩، ٦٠ وفي الأخلاق /ص٧٤، ٧٥، ٧٦ وأبو نعيم في الحلية (١/٣٢٥) وفي إسناده موسى بن أبي درم، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/١٤٢) ولم يحك فيه جرحاً ولا تعديلاً وله طريق أخرى أخرجها أحمد في الزهد / ص ٤٣ وأبو نعيم في الحلية (١/٣٢٥) وفي إسنادها إدريس بن سنان وهو ضعيف كما في التقريب.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (١٨٨) وأحمد (٥/٢٦٩) =

وخرج ابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«البيـــان من الله والعي من الشيطان. وليس البيان بكثرة الكلام ولكن البيان الفصل في الحق. وليس العي قلة الكلام ولكن من سفه الحق»**(١).

وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ قال: **«ثـلاث ينقص بهن العبـد في الـدنيـا**

= والـترمـذي (٢٠٢٧) وحسنه وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٢/ق١١/ب) والخرائطي في مكارم الأخلاق/ ص ٤٩ والحاكم (١/٩،٥٢) والبغـوي في شرح السنـة (١٢/٣٦٦) وإسنـاده صحيح وحسنه الحافظ العراقي في أماليه كما في الفيض (٣/٤٢٨).

والعي: سكون اللسان تحرزاً عن الوقوع في البهتان فيض.

(١) أخـرجـه ابن حبان (٢٠١٠) وإسناده ضعيف جداً **فيه عتبة بن** السكن قال الـدارقـطني «مـتروك الحـديث» وقـال البيهقي «واهٍ منسوب إلى الوضع» أ. هـ لسان الميزان (٤/١٢٨).

ويـدرك بهن في الآخـرة ما هو أعظم من ذلك: الرحم والحياء وعي اللسان»[1].

قال عون بن عبـد الله : ثلاث من الإيمان: الحـياء والعفـاف والعي، عي اللسـان لا عي القلب، ولا عي العمل، وهن مما يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكبر مما ينقصن من الدنيا[2]. وروي هذا مرفوعاً من وجه ضعيف[3].

---

(١) تقدم أن المرسل من أقسام الحديث الضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/١٤٢،١٤٣) وإسناده صحيح.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢/ق ١١/ب) مختصراً وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٨) مطولاً وفيه المسعـودي وقـد اختلط والراوي عنه يزيد بن هارون وقد سمع منه بعد الاختلاط كما في الكواكب النيرات /ص ٢٨٧.

(٣) أخـرجـه رستة عن عون بن عبد الله بلاغاً كما في فيض القدير =

وقال بعض السلف: إن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عياً وما به عي إنه لفقيه مسلم.

فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عياً ولا جهلاً ولا قصوراً، وإنما كان ورعاً وخشية لله واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع.

= (٣٠٨/٣) وأخرجه الدارمي (١/ ١٢٩) عن رجل من الصحابة بنحوه مع اختلاف يسير في الألفاظ وإسناده جيد وورد أيضاً بلفظ مقارب من حديث قرة بن إياس أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٨١) والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٣١١) والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٩) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٥) وإسناده ضعيف قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٧) «وفيه عبد الحميد بن سوار وهو ضعيف» أ. هـ.

وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه.

فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال، والقيل والقال فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً.

وقد قال إياس بن معاوية: ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحمق قيل له: فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٤) باسناد لا بأس به.

وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالاً مبيناً وخسر خسراناً عظيماً.

وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يرضى الإنسان لنفسه أن يكون عالماً عند الله أو لا يرضى إلا بأن يكون عند أهل الزمان عالماً فإن رضي بالأول فليكتف بعلم الله فيه. ومن كان بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله إياه. ومن لم يرض إلا بأن يكون عالماً عند الناس دخل في قوله ﷺ: **«من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار»**[1].

---

(١) شطر الحديث الأول أخرجه الترمذي (٢٦٥٤) والعقيلي في الضعفاء (ق ١٨/ب) والطبراني في الكبير (١٩/ ١٠٠) وابن حبان =

قال وهيب بن ورد: رب عالم يقول له الناس عالم وهو معدود عند الله من الجاهلين[1].

= في المجروحين (١/ ١٣٣، ١٣٤) والآجري في الأخلاق/ ص ٨٥، ٨٦ والحاكم (١/ ٨٦) والبيهقي في الشعب (١/ق ٣١٠/ب) والخطيب في الجامع (١/ ٢٣) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٦) من حديث كعب بن مالك، وقال الترمذي «غريب» قلت: وإسناده ضعيف لضعف إسحاق بن يحيى لكن له شاهد من حديث ابن عمر بنحوه أخرجه ابن ماجه (٢٥٣) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٣٧): «هذا إسناد ضعيف لضعف حماد بن عبد الرحمن وأبي كرب» ويشهد له حديث جابر الذي مضى ص٨١ وأما الشطر الأخير فقد ورد من حديث ابن عمر، أخرجه الترمذي (٢٦٥٥) وحسنه وابن ماجه (٢٥٨) والآجري في الأخلاق / ص ٨٤) وإسناده منقطع خالد بن دريك لم يسمع من ابن عمر كما في جامع التحصيل / ص ٢٠٥ وقد دمج المصنف رحمه الله الحديثين مما يوهم القارىء أنهما حديث واحد وليس كذلك.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٥٧) وإسناده ضعيف فإن فيه عبيد الله بن محمد بن يزيد قال الحافظ فيه وفي أبيه مقبول يعني إذا توبع وإلا فلين.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إن أول من تسعر به النار ثلاثة، أحدهم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال هو قارىء وهو عالم، ويقال له: قد قيل ذلك، ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»(١).

فإن لم تقنع نفسه بذلك حتى تصل درجة الحكم بين الناس، حيث كان أهل الزمان لا يعظمون من لم يكن كذلك ولا يلتفتون إليه، فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وانتقل من درجة العلماء إلى درجة الظلمة، ولهذا قال بعض السلف: لما أريد على القضاء فأباه: إنما تعلمت العلم لأحشر به مع الأنبياء لا مع الملوك. فإن

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١، ٣٢٢) ومسلم (٣/ ١٥١٣، ١٥١٤) والنسائي (٦/ ٢٣، ٢٤) تم تخريج أحاديث هذه الرسالة النافعة وصلى الله على النبي الأمي وآله وسلم.

العلماء يحشرون مع الأنبياء والقضاة يحشرون مع الملوك.

ولابد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به إلى راحة طويلة، فإن جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك: من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله ينشد:

يا نفس ما هي إلا صبر أيام
كأن مدتها أضغاث أحلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة
وخل عنها فإن العيش قدام

فنسال الله تعالى علماً نافعاً، ونعوذ به من علم

لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع.

اللهم إنا نعوذ بك من هؤلاء الأربع، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فصـــل

ليتـدبـر ما ذم به الله أهـل الكتاب من قسوة القلوب بعد إتيانهم الكتاب، ومشاهدتهم الآيات كإحياء القتيل المضروب ببعض البقـرة. ثم نهينا عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكـونـوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**﴾ [الحديد: ١٦].

وبـين في موضع آخر سبب قسوة قلوبهم فقال سبحـانه: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيـة**﴾ [المائدة: ١٣]، فأخبر أن قسوة قلوبهم كان[1] عقـوبة لهم على نقضهم ميثاق الله

(١) وفي (ض) والمطبوعة: «كانت».

وهو مخالفتهم لأمره وارتكابهم لنهيه بعد أن أخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ألا تفعلوا ذلك ثم قال تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه[1] ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ [المائدة: ١٣]، فذكر أن قسوة قلوبهم أوجبت لهم خصلتين مذمومتين:

إحداهما: تحريف الكلم من بعد مواضعه.

والثانية: نسيانهم حظاً مما ذكروا به. والمراد تركهم وإهمالهم نصيباً مما ذكروا به من الحكمة والموعظة الحسنة، فنسوا ذلك وتركوا العمل به وأهملوه.

وهذان الأمران موجودان في الذين فسدوا من علمائنا لمشابهتهم لأهل الكتاب.

---

(١) وفي (ش) «من بعد»! وهو تحريف عجيب.

أحـدهمـا: تحريف الكلم، فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل، بل بتحريف الـكـلم وصرف ألفـاظ الكتـاب والسنـة عن مواضعها، والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك.

والـطعن في ألفـاظ السنن حيث لم يمكنهم الـطعن في ألفـاظ الكتـاب. ويذمون من تمسك بالنصـوص وأجـراهـا على ما يفهم منها ويسمونه جاهـلاً أو حشـوياً. وهذا يوجد في المتكلمين في أصـول الـديانات، وفي فقهاء الرأي وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين.

والثـاني: نسيان حظ مما ذكـروا به من العلم النـافـع فلا تتعظ قلوبهم، بل يذمـون من تعلم مايبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصاً.

ونقل أهل الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم: أن ثمرات العلوم تدل على شرفها، فمن اشتغل بالتفسير فغايته أن يقص على الناس ويذكرهم ومن اشتغل برأيهم وعلمهم فإنه يُفتى ويقضي ويحكم ويدرس، وهؤلاء لهم نصيب من الذين: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ [الروم: ٧].

والحامل لهم على هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها، ولو أنهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، ونصحوا أنفسهم وعباد الله لتمسكوا بما أنزل الله على رسوله، وألزموا الناس بذلك، فكان الناس حينئذ أكثرهم لا يخرجون عن التقوى، فكان يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة، ومن خرج منهم عنها كان قليلاً، فكان الله يقيض من يفهم من معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها إلى

الرجوع إليها. ويستغني بذلك عما ولدوه من الفروع الباطنة[1]، والحيل المحرمة التي بسببها فتحت أبواب الربا وغيره من المحرمات، واستحلت محارم الله بأدنى الحيل كما فعل أهل الكتاب.

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[2].

---

(١) وفي (ض) و(ع) و(ف): «الباطلة».

(٢) وفي (ش) و(ف): كتب الناسخ:

يلوح الخط في القرطاس دهراً وكاتبه رميم في التراب

خرجت من التراب بغير ذنب وعدت مع الذنوب إلى التراب

حشرنا الله في زمرة أوليائه في دار كرامته بمنه وكرمه أمين.